للمعارضة مع كمال حذاقتهم في اسرار الكلام فلم يجدوا للطعن فيه مجالا ولم
يوردوا في القدح مقالا حتى حسبوا انهم سحروا اى لهم بالسحر فقالوا ان هذا
الا سحر يؤثر على ما داب المحجوج المبهوت تعجبا من فصاحته وحسن نظمه
وبلاغته واعترفوا بانه ليس من جنس خطب الخطباء وشعر الشعراء وان له
حلاوة وعليه طلاوة وان اسافله مغدقة واعاليه مثمرة كما نقل عن الوليد
وليس معنى قوله حتى سحروا جعلوا مسحورين حتى غلب عقلهم على ما فسر به المص
قوله تعالى انما انت من المسحرين اذ ليس غاية الافحام حسبانهم انفسهم مغلوبي
العقل بل حسبانهم انه سحر تعجبا من بلاغته او كونهم مزال القدرة في نفس الامر
ان قلنا ان الاعجاز بالصرفة وازالة القدرة على انه لم ينقل كونهم معترفين
بمغلوبية العقل فا قيل ان فيه تعريضا وقيعا لمن جعل الاعجاز بالصرفة حيث
جعل اعتقادهم حسبانا لا على ما لا يظهر له وجهه ثم اعلم انه وقع في بعض النسخ
افحم بدون الواو وفي بعضها بالواو وفعلى الاول استينافي كأن سائلا سئل
كيف كان التحدي وعجزهم فاجاب بانه افحم عند المعارضة رؤساهم ومشاهيرهم
في البلاغة بحيث لم يبق لهم مجال مع تمالكهم عليه فلزم عجز الكل او بدل منه وعلى الثاني
عطف على تحدى قريبا من عطف الخاص على العام اظهارا لشرافته بناء على اعتبار
ان فصحاء عدنان وقحطان لبلوغهم في الفصاحة غاية الكمال غير داخلين تحت
مصاقع الخطباء قوله ثم بين الخ ثم اما للتراخي في الزمان فيكون اشارة الى انه
يجوز تاخير البيان عن وقت الخطاب او في الرتبة فان مرتبة البيان اشرف واكثر نفعا
من التنزيل والضمير اما راجع الى الله تعالى او الى الرسول ويؤيد الاول قوله تعالى ثم
ان علينا بيانه والثاني قوله تعالى وانزلنا اليك القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم
والتبيين الايضاح سواء كان ابتداء او بعد الخفاء وهو اعم من ان ينص بالمقصد
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل وما نزل اليهم بواسطة الرسول اعم مما
امروا به ونهوا عنه وما تشابه عليهم كذا ذكره المص في سورة النحل في تفسير الاية
المذكورة وقوله حسب ما عن لهم اي على قدر ما ظهر لهم من مصالحهم الدينية
والدنيوية متعلق بنزل او بين والثاني اوجه ليدل على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت

الحاجة

عن وقت الحاجة وفيه اشارة على انه يراعى ما هو الاصلح بالنسبة الى الكل تفضلا
وقوله ليدبروا الخ اقتباس من قوله تعالى في سورة ص كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب قال المص في تفسيره ليتفكروا فيها
فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وليتعظ به ذوو
ذو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر
للقسم الثاني انتهى في بيان المعنى بهذا الوجه اشارة الى ان ليدبروا اسند الى ضمير
اولوا الالباب على التنازع واعمال الثاني ويحتمل ان يكون الواو ضمير المتقين
والفاسقين المذكورين سابقا في قوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار وعبارة
المص ايضا تحتمل الوجهين كما لا يخفى وبالجملة بهذه الفقرة ماخوذة من مجموع هذه الاية
والاية المذكورة سابقا وقوله تذكيرا اما مصدر من غير لفظه كما في قوله وتبتل اليه
تبتيلا او مصدر لفعل محذوف اى ليذكروا تذكيرا ففيه اشارة الى ان الاعلام للغير
ايضا مصلحة مطلوبة من اولي الالباب كما يشير اليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قوله فكشف الخ
الف التفصيل ما اجمله بقوله ثم بين فضميره تابع لضميره ومعناه معناه والقناع اوسع
من المقنعة وهي ما تقنع به المرأة رأسها والانغلاق الاشكال قال في الصحاح كلام مغلق
اى مشكل والاضافة من قبيل لجين الماء شبه الانغلاق بالقناع ايضا من حيث الستر
والاخفاء لما تحته الا انه استبعد هذا التشبيه تشبيه الآيات بالعرائس المخدرة والقول
بكون الايات استعارة بالكناية عنها بقرينة ذكر القناع انما يصح على ما جوزه السكاكي
من وجود المكنية بدون التخييلية او هو اثباته لازم المشبه به المستعمل في معناه الحقيقي
او المجازي للمشبه وههنا انما اثبت الانغلاق المشبه بالقناع للآيات والمحكمات ما احكمت
عبارتها عن الاحتمال وكونها ام الكتاب اى اصلها باعتبار ان غيرها يرد اليها والمتشابهات
ما لا يتضح المراد بها لاجمال او مخالفة ظاهر كذا ذكره المص في سورة آل عمران وكونها مورد الخطاب
اي ما خوطب به باعتبار عدم التصريح بالمراد وهذا على طريقة الشافعية من تقسيمهم

ان يرجع ضمير الواو الى الناس اوالى اولوا الالباب
بطريق التنازع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1